الفصل الثانى

الحــــرب فى أوروبــــا

"أعطنى حلفاء لأُحارب ضدهُــم!"

(نابليون)

"هناك شئ واحد فقط أسوأ من القتال مع الحلفاء، وهو القتال بدونهم"

(سير ونستون تشرشل)

إن التحالف الكبير أثناء الحرب العالمية الثانية، الذى أطلق عليه أحياناً «الحلف الغريب» ضم بريطانيا، أعظم قوة استعمارية فى العالم، بقيادة تشرشل؛ وروسيا الدولة الشيوعية الوحيدة فى العالم، بقيادة ستالين؛ والولايات المتحدة، أعظم قوة رأسمالية فى العالم، بقيادة روزفلت. إن هتلر وحده هو الذى استطاع أن يجمعهم معاً، وخطر ألمانيا النازية وحده، هو الذى استطاع أن يبقيهم معاً خلال أربع سنوات من الحرب؛ فكل دولة من هذه القوى العظمى الثلاثة كانت ترتاب فى نوايا الأخرى، لكن كل منهم كان يعرف مدى احتياجه لشريكيه الآخرين فلم تمتلك بريطانيا وأمريكا معاً أو أى اتحاد ثنائى آخر بين دولتين القوة اللازمة لهزيمة ألمانيا، وبالتالى كان لابد من اتحاد الثلاثة معاً لإنجاز المهمة.

وهكذا نجح الحلف ـ العظيم بالرغم من عديد من الضغوط والتوترات ـ فى التماسك حتى النهاية، وهو ما يمثل إنجازاً ليس له نظير فى التاريخ. ومع ذلك، فقد توترت الأعصاب وأنهكت الموارد ـ مع مرور الوقت ـ حتى أوشكت أن تنهار.

obeikandl.com

بدأت العملية فى يناير ١٩٤٢، عندما توجه تشرشل وقادته العسكريون إلى واشنطن لمناقشة الاستراتيجية المزمع اتباعها، وعرض تشرشل وجهة نظر البريطانيين، ونصح بالقيام بسلسلة من العمليات العسكرية، حول حافة قلعة هتلر فى أوروبا، مع القيام بغارات لإلقاء القنابل على ألمانيا نفسها، وتشجيع قوات المقاومة فى البلاد المحتلة، ولكن دون القيام بغزو مباشر لأوروبا. لقد كان تشرشل يفضل أن يتولى الأوروبيون معاركهم الخاصة، مثلما فعل عظماء السياسيون البريطانيون فى الماضى؛ وكان ذلك علامة على مدى عمق كراهية وخوف تشرشل ـ وهو من أكبر المعادين للبلشفية ـ من هتلر. إن الأوروبيين الذين كانوا على استعداد لمقاتلة هتلر سواء كانوا من الروس، أم من المقاومة الفرنسية، أم يوجوسلافيين، أم يونانيين، كان أغلبهم من اليساريين سياسيا، فكانوا اشتراكيين وفى أغلب الأحيان شيوعيين. وكانت سياسة تشرشل تقدم دفعة قوية لقوات اليسار فى أوروبا، ولكن ذلك كان أفضل من انتصار النازيين.

لقد عارض القادة العسكريون فى أمريكا سياسة تشرشل ولكن هذه المعارضة لم تكن لأسباب سياسية؛ فقد كان رئيس أركان الجيش الأمريكى «چورج سى. مارشال» يرى أن الفكرة التى قدمها تشرشل فيها مجازفة وأنها ليست آمنة، وأنها ستؤدى إلى فقدان الأرواح والمعدات، بدلاً من إنقاذها. إن ترك الجيش السوڤيتى الأحمر فى مواجهة معظم القوات النازية ـ كما نادى بذلك تشرشل ـ كان سيفضى الى كارثة؛ فلم يكن «مارشال» متيقناً بالمرة أن الروس يمكن أن ينجحوا فى الصمود أمام قوات هتلر دون مساعدة، كما أنه رأى أن ترك جيش سوڤيتى مكون من ثمانية ملايين مقاتل يواجه الهزيمة، دون بذل أى مجهود لمنع تلك الهزيمة، يعد أفدح خطأ عسكرى فى التاريخ.

وكان «مارشال» يرى أن تعمد الحلفاء تجنب مواجهة الألمان فى أوروبا طوال عامى ١٩٤٢ و١٩٤٣ قد ينقذ الأرواح البريطانية والأمريكية فى المدى القصير، ولكن يمكن أن يؤدى إلى انتصار هتلر التام فى النهاية. وحتى لو كان تشرشل محقاً أيضا

فى افتراضه بأن الجيش الأحمر سوف يصمد، فقد كان «مارشال» يؤمن بأنه سيترتب على ذلك استمرار الحرب حتى ١٩٤٤ أو حتى ١٩٤٥ ، وستكون المحصلة النهائية ارتفاع (وليس انخفاض) نسبة الإصابات بين الأنجلو أمريكيين.

ولذلك اقترح «مارشال» أن يُحدد الأنجلو أمريكيون هدفاً لعام ١٩٤٢ ، وهو حشد قوات أمريكية برية وجوية وبحرية فى المملكة المتحدة؛ بهدف شن غزو ضخم عبر بحر المانش فى ربيع ١٩٤٣ ، وأكد «مارشال» أن اقتراحهُ هذا هو الوسيلة الوحيدة، التى تمكن الأمريكيين من إستخدام قواتهم لحسم المعركة، وتمكن الحلفاء ـ فى نفس الوقت ـ من تقديم مُساعدة كبيرة للروس، وهكذا يتم تحقيق الهدف النهائى وهو النصر.

واجه برنامج «مارشال» الذى يتضمن حشد القوات الأمريكية فى ١٩٤٢ ، والقيام بعملية الغزو فى ١٩٤٣ ، مشكلتين: الأولى هى أنه لن يفيد الروس كثيرا فى ١٩٤٢ ، والثانية أن الولايات المتحدة لن تشتبك فى أى قتال أرضى مع الألمان طوال ١٩٤٢ ؛ وهى النقطة التى أثارت قلق روزفلت لرغبته فى أن يشعر الشعب الأمريكى بالتزامه فى المعركة من أجل أوروبا (فلقد أظهرت استطلاعات الرأى العام فى ١٩٤٢ أن الشعب الأمريكى كان أكثر تحمساً للرد على اليابانيين، من القتال مع الألمان) ولذا فقد رأى روزفلت أن الاشتباك فى المعارك الدائرة فى أوروبا، هو أسرع طريقة لتحقيق هدفه، وأصر على ضرورة اشتباك القوات الأمريكية فى القتال ضد القوات الألمانية، فى وقت ما خلال ١٩٤٢ . ولكن روزفلت كان أيضاً مؤيدا لفكرة تضييق الدائرة حول هتلر، التى طرحها تشرشل بما تنطوى عليه من ترك الروس يتحملون مُعظم الإصابات؛ هذا بالإضافة الى تصميمه على ضرورة نجاح أول هجوم أمريكى، مما أدى فى النهاية إلى رجوح كفة اختيار حافة المنطقة التى يسيطر عليها هتلر كهدف للمعركة، بدلاً من شمال غرب أوروبا.

النرويج
فنلندا
أوسلو
هلسنكى
ستوكهولم
السويد
موسكو
الدانمارك
كوبنهاجن
بحر البلطيق
اتحاد الجمهوريات السوفيتية
برلين
دايسو
ألمانيا الموحدة
بولندا
براغ
تشيكوسلوفاكيا
فيينا
النمسا
بودابست
المجر
رومانيا
بلجراد
بوكارست
يوغوسلافيا
البحر الأسود
إيطاليا
بلغاريا
صوفيا
روما
اسطنبول
تيرانا
ألبانيا
مضايق الدردنيل
اليونان
تركيا
البحر الأيونى
أثينا
مالطا

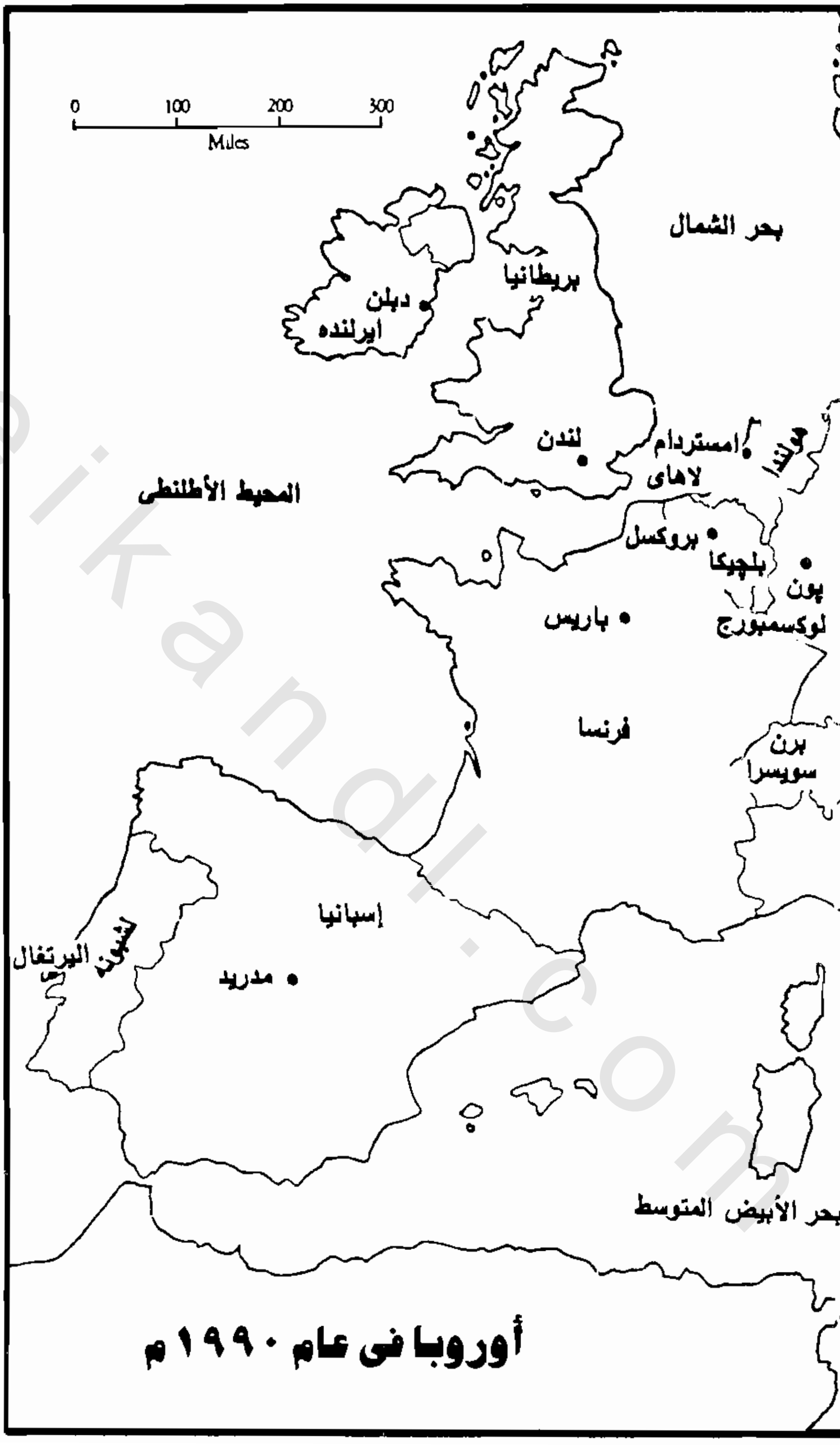

أوروبا فى عام ١٩٩٠ م

obeikandi.com

اقترح «مارشال» ـ بالإضافة إلى برنامجه للغزو فى ١٩٤٣ ـ عملية إنزال طارئة على الساحل الفرنسى فى سبتمبر ١٩٤٢، وحملت العملية الاسم الكودى الشفرى «سلدج هامر» أو «المطرقة الثقيلة» وهى عملية انتحارية، هدفها تخفيف الضغط عن الروس، ولا يتم تنفيذها إلا إذا بدا الروس على وشك الإنهيار. وبالرغم من أن مارشال كان لا ينوى استخدام هذه العملية إلا كضرورة أخيرة، إلا أنه أقنع روزفلت بأنها عملية ترضى رغبته فى الاشتباك الأمريكى فى المعارك فى ١٩٤٢. وكانت الصعوبة الواضحة فى عملية «سلدج هامر» تتركز فى خطورتها؛ لذا قدم تشرشل اقتراحا مضادا لغزو شمال أفريقيا (الفرنسى)، وأطلق عليها الاسم الكودى «تورش» أو الشعلة، وهى عملية أكثر أمانا من شن هجوم عبر بحر المانش (القنال الانجليزى) فى ١٩٤٢ أو ١٩٤٣؛ خاصة وإنها كانت تمثل هجوماً مفاجئاً على أراضى دولة محايدة. (كانت الحكومة الفرنسية فى «ڤيشى» بقيادة المارشال «هنرى بيتان» تحكم شمال أفريقيا، وقد كانت حكومة فاشستية منحازة للنازيين، إلا أنها أعلنت حيادها فى الحرب). ولقد اتفقت عملية «تورش» تماماً مع الأهداف السياسية البريطانية، حيث إنها كانت تساعد بريطانيا على إعادة وجودها فى البحر المتوسط.

اضطر روزفلت الى الاختيار بين اقتراحات مارشال أو تشرشل؛ وواجه ضغوطا هائلة من جميع الجهات تماثل المخاطر التى تواجهها الاقتراحات؛ فحينما قام وزير الخارجية السوفيتى «ف. م. مولوتوف» بزيارة روزفلت فى الربيع (ومع أن الرئيس تهرب من تحديد موقع الجبهة الثانية) كان «مولوتوف» ـ مثل بقية العالم ـ يرى حتمية أن يكون موقع الجبهة الثانية فى سهول شمال غرب أوروبا.

وكان روزفلت على علم بالضغوط التى تواجه الروس، حيث كانوا يواجهون حوالى ٢٠٠ فرقة عسكرية ألمانية، فى جبهة ممتدة من لننجراد حتى القوقاز كانت تتضمن مسافات شاسعة يحتلها الألمان من أحسن الأراضى الزراعية والمناطق الصناعية بها. كما تعرض الروس لخسائر فادحة فى الأرواح وصلت إلى ملايين القتلى

ولذلك فقد كان السوفيت فى أمس الحاجـة إلى مهلة من الوقت، تمكنهم من إعادة بناء مصانعهم وقواتهم. ولهذا كان السوفيت يعتبرون مسألة فتح جبهة ثانية للمعركة ضرورة أساسية، واختبارا حقيقيا لنوايا دول الغرب الديمقراطية، وإذا لم تتحرك هذه الدول فى أسرع وقت على نحو يترتب عليه سحب بعض الفرق الألمانية، فقد يستنتج الروس من ذلك أن الحلفاء ميالون إلى فوز هتلر، على الأقل فى الشرق.

لم يكن روزفلت أبداً من الحماقة بحيث يعتقد أن انتصار الألمان على الروس سيفيد أحدا بخلاف النازيين، ولكنه كان يواجه مشاكل وضغوطاً أخرى؛ إذ لم تصل أمريكا ـ فى هذا الوقت ـ إلى حالة التعبئة القصوى؛ فبغض النظر عن خطط «مارشال» ، لم يكن جيش الولايات المتحدة قادراً على غزو فرنسا وحده، وحتى مع اشتراك البريطانيين، كانت الولايات المتحدة ستتحمل خسائر كبيرة. هذا بينما أصر تشرشل وقادته العسكريون على عدم العودة إلى القارة الأوروبية فى ١٩٤٢ ، إلا بعد أن يـصبح الجميع على أهبة الاستعداد، وبالتالى جعلوا بديل شمال أفريقيا يبدو أكثر جاذبية للرئيس الأمريكى، وأبدى تشرشل استعداده للذهاب بنفسه إلى موسكو لشرح عملية «تورش» لستالين؛ مؤكداً قدرته على إقناع السوفيت أن عملية «تورش» تمثل فعلاً جبهة ثانية. أمام تصلب وعناد البريطانيين، لم يكن أمام روزفلت إلا عملية «تورش» ، فاختار القيام بها.

فى ٢٨ يوليه، أصدر روزفلت أوامره إلى «مارشال» وكان تعليق الجنرال «دوايت إيزنهاور» قائد القـوات الأمريكيـة فى بريطانيا أن ذلك اليـوم قد يكون «أسود يوم فى التاريخ» إذ إن «إيزنهاور» و «مارشال» كانا على ثقة أن بدء عملية غزو كرى فى شمال أفريقيا الفرنسى فى نوفمبر ١٩٤٢ ستترتب عليها تداعيات، قد تؤثر على اتجاه الحرب بأسرها وقد تستمر آثار هذه التداعيات إلى ما بعد انتهاء الحرب.

وثبت أنهما كانا على حق؛ فبمجرد نجاح عملية «تورش» صار من الصعب مقاومة إغراء القيام بتعزيز القاعدة الموجودة ـ فعلاً ـ فى الجزائر وتونس؛

لاستخدامهما كنقطة انطلاق للعمليات المقبلة. وبذا اتجه الجزء الأعظم من الجهود الأنجلو أمريكية فى عامى ١٩٤٢، ١٩٤٣ إلى منطقة البحر المتوسط، بدءاً بشمال أفريقيا، ثم صقلية (يوليه ١٩٤٣) ثم إيطاليا (سبتمبر ١٩٤٣)؛ مما حقق انتصارات كبيرة على الخريطة، إلا أنه لم يترتب عليها تدمير القوة الألمانية.

إن شن غزو فى ١٩٤٢، أو حتى ١٩٤٣ كان يستتبع كماً من المشاكل الفعلية الهائلة، التى قد يصعب تذليلها. ومن المحتمل جداً أن البريطانيين كانوا على حق فى اقتناعهم بأن التسرع فى شن هجوم عبر بحر المانش، ستكون نتيجته الحتمية حماماً للدماء. ولكن العوامل السياسية كانت لها اليد العُليا وراء قرار عملية «تورش»؛ حيث أراد تشرشل أن يكون الوجود البريطانى قوياً فى البحر المتوسط، بينما أراد روزفلت دفع معنويات الشعب الأمريكى عن طريق اشتباك أمريكى سريع ومأمون إلى حد ما. ولقد حققت «عملية تورش» رغبات كل منهما.

عندما بدأت عملية «تورش» فى ٨ نوفمبر ١٩٤٢، لم يدرك الأمريكيون ماذا يتوقعون بالضبط، فكانوا يأملون ألا يواجه الغزو أية مقاومة بسبب ثقتهم فى أن الجيش الفرنسى فى الجزائر والمغرب وتونس كان فى حقيقة الأمر معادياً للألمان. لقد انشغل الجواسيس والعملاء الأمريكيون بالعمل فى شمال أفريقيا لمدة عامين، كأعضاء لمكتب الخدمات الاستراتيچية (O. S. S.) وهى المنظمة التى انشأها «روزفلت» فى بداية الحرب، على غرار المخابرات البريطانية.

وعند إنشاء هذه المنظمة، أوضح روزفلت لرئيسها «وليام دونوڤان» أن هذه المنظمة يجب أن تواجه الجستابو، وبالتالى يجب أن تستخدم نفس الأساليب التى يتبعها الجستابو، ومن ثم وفر لهذه المنظمة ميزانية مفتوحة وغير محددة، من مخصصات الكونجرس السرية. وبالرغم من ذلك، كان أداء هذه المنظمة بالمقارنة بالمعايير الأوربية، أداء هواة؛ سواء فيما يتعلق بالطرق التى تتبعها، والتكنولوچيا التى تستخدمها والأيدولوچية، أو السياسات المتبعة. وضمت هذه المنظمة أعضاء مختلفين تماما،

حيث ضمت عدداً من الرياضيين المحافظين من خريجى أشهر الجامعات على الساحل الشرقى والشمالى لأفريقيا والمفكرين اليهود المتطرفين، وأعضاءً من الحزب الشيوعى فى الولايات المتحدة، وكل ألوان الطيف السياسى بين اليمين واليسار وكان الشئ الوحيد المشترك بينهم هو المثالية وكراهية هتلر.

فيما بعد ـ أثناء الحرب ـ حققت هذه المنظمة بعض الإنجازات، بالاشتراك مع الجماعات السرية البريطانية والمقاومة الفرنسية المتواجدة خلف خطوط الألمان فى أوروبا. ولكن فى ١٩٤٢ ـ فى شمال أفريقيا ـ لم تستطع مخابرات أمريكا أن تفهم تعقيدات السياسة الفرنسية. عندما استسلم «بيتان» للألمان، رفض «الجنرال تشارل ديجول» أن يمتثل لحكومة «فيشى» وسافر إلى لندن حيث شجب «بيتان» والتهمة بالخيانة، وأعلن أنه أصبح رئيسا لحكومة فرنسية جديدة ستستمر فى الحرب، وأطلق ديجول على منظمته اسم «الفرنسيون الأحرار». ومع ذلك لم يهرع سوى عدد قليل من القوات الفرنسية الموجودة فى المستعمرات لمساعدة ديجول؛ حيث اعتقدوا أن الاستمرار فى موالاة «بيتان» كان أسهل وأكثر أماناً.

كان الأمريكيون عازفين عن محاربة الفرنسيين، بالرغم من غزوهم شمال أفريقيا؛ وكانوا يفضلون التوصل الى اتفاقية، ولكن بيتان أصدر أوامره بمقاومة أى غزو، أياً كان مصدره.

عندما بدأ الغزو، كان الأدميرال «چان دارلان» رئيس أركان القوات المسلحة فى «فيشى» موجوداً فى الجزائر. ونظرا للأداء السئ لمنظمة المخابرات الأمريكية كان عملاء «دارلان» على دراية تامة بالخطط الأمريكية، وكان «دارلان» ـ صاحب قوانين «فيشى» المعادية للسامية ـ متعصباً ضد البريطانيين وعلى أتم الاستعداد للتعاون مع الألمان؛ إلا أنه كان مستعداً أيضا لخيانة «بيتان» إذ وافق على اتفاقية تقتضى أن يلقى الفرنسيون بسلاحهم فى مقابل موافقة الحلفاء على تعيين «دارلان» حاكماً عاماً لكل منطقة شمال أفريقيا الفرنسية، على أن يتولى چنرال «هنرى چيرو» قيادة جيش شمال أفريقيا. وفى خلال عدة أيام.. امتثل الضباط الفرنسيون لأوامر «دارلان» بوقف إطلاق النار. وبعد الغزو بأسبوع سافر «إيزنهاور» إلى الجزائر للتصديق على الاتفاقية.

فوجئ «روزفلت»، حيث لم يكن يتوقع أن يضطر إلى دعم التعاون مع «فيشى» لهذه الدرجة، فأمسك عدة أيام عن الموافقة قائلا للمراسلين الصحفيين إن اتفاقية «إيزنهاور» مع «دارلان» لا تمثل سوى تسوية مؤقتة، ولا يترتب عليها ـ بأى حال من الأحوال ـ الاعتراف بدارلان رئيسا لحكومة شمال أفريقيا الفرنسية. إلا أن روزفلت فى نهاية الأمر وافق على اتفاقية «دارلان» لاعتبارات عسكرية.

ولقد ترتب على ذلك تأييد الولايات المتحدة (فى إطار أول تحرك رئيسى لسياستها الخارجية فى الحرب العالمية الثانية) لرجل يمثل، كل ما نادى «روزفلت» و«تشرشل» بالوقوف ضده. فدارلان مثله مثل «جورينج» أو «جوبلز».. كان مناقضاً لكل المبادىء التى كان الحلفاء يدافعون عنها.

أثارت اتفاقية «دارلان» زوبعة من المعارضة فى الدوائر الليبرالية فى الولايات المتحدة وفى بريطانيا؛ فتساءل المعلق الإذاعى «إدوارد مورو»: ما الذى نحارب من أجله بحق الجحيم؟ وبوغت أصدقاء «تشرشل»، وكان تشرشل ـ نفسه ـ مشدوهاً أيضا؛ أما ديجول وغيره ممن انتقدوا اتفاقية «دارلان» فقد أثاروا عدة مسائل خطيرة: هل يعنى هذا أن الحلفاء سيعقدون اتفاقية مع «موسولينى»، عندما يدخلون إيطاليا؟ وإذا سنحت لهم الفرصة.. هل سيتفقون مع هتلر أو القادة الألمان؟ وثبت «روزفلت» أمام العاصفة بإصراره على الطبيعة المؤقتة للاتفاقية، فزاد ذلك من سخط «دارلان» الذى تذمر قائلا؛ إن الأمريكيين يرونه مثل «ليمونة تعصر للنهاية، ثم تلقى بعيداً عندما لا يرجى منها نفع».

وانتهى النزاع فى عشية عيد الميلاد سنة ١٩٤٢، عندما قام شاب فرنسى باغتيال «دارلان» فى الجزائر، كجزء من مؤامرة واسعة النطاق ضمت أكثر من اثنى عشر فرداً، ولكن لم يتوفر دليل قاطع يحدد من وراء مؤامرة قتل «دارلان».

وبصرف النظر عن المسئول عن هذه المؤامرة.. انتهى حرج التعامل مع «دارلان» على حد قول جنرال «مارك كلارك» نائب إيزنهاور: «إن وفاة الأدميرال «دارلان»

معجزة من السماء فلقد استنفذ أغراضه، فجاءت وفاته حلاً لمشكلة، كان يمكن أن تكون عويصة جداً، ألا وهي كيفية التصرف معه مستقبلاً.»

في إطار هذه الأحداث.. تزايدت شكوك الروس بخصوص نوايا السياسة الأمريكية تجاه أوروبا المحررة، فحاول «روزفلت» أن يهدئ من مخاوفهم في مؤتمر «كازابلانكا»، في يناير ١٩٤٣، إذ أعلن أن سياسة الحلفاء تجاه ألمانيا واليابان ـ وضمنياً تجاه إيطاليا ـ هي المطالبة بالاستسلام غير المشروط.

ما الذي يعنيه ذلك؟ لم يفسر «روزفلت» المقصود بهذا الإعلان تفصيلياً، فالمفترض أن «الاستسلام غير المشروط» يعني أن الحلفاء سيقاتلون حتى تضطر حكومات المحور إلى التسليم أمام الحلفاء، دون أية شروط؛ ولكن فيما عدا ذلك.. لم يكن أي شئ واضحاً؛ إذ لم يذكر «روزفلت» نوعية الحكومات التي ستحل محل حكومات «موسوليني» و «توجو» و «هتلر»؛ فكان من المتوقع أن تكون هناك فترة احتلال عسكري، مع منح السلطة لحاكم عسكري من الحلفاء، ولكن ماذا بعد ذلك؟ إن روزفلت لم يوضح هذه الأمور.

إن عدم إعلان روزفلت للتفاصيل الخاصة بهذه القضية غالبا ما يرجع إلى أنه هو نفسه لم يكن يعرف ما سيفعل، إلا أنه كان على ثقة من قدرته على مواجهة كل موقف في حينه، لأنه كان دائما يثق في نفسه وكان دائما عمليا في مواجهة المشاكل واستمر في الاعتماد على الاعتبارات العسكرية كأساس لمعظم قراراته. وفي نفس الوقت، أكد روزفلت لستالين والعالم بأسره أنه لن تعقد أية اتفاقيات مع هتلر وعصابته. وأن الحلفاء سيقاتلون حتى تستسلم حكومات المحور، حينذاك سوف يسوّى كل الأمور، ويرضي جميع الأطراف. كانت خطة عبقرية: من خلال إضفاء نوع من الغموض على أهداف الحرب، تجنب روزفلت الانشقاق بين الحلفاء.

كانت ثقة روزفلت في نفسه هائلة، ولكنها لم تكن دائما لها ما يبررها، وهو ما أثبتته فيما بعد العلاقات الفرنسية الأمريكية. ففي بداية ١٩٤٣ كان «چيرو» لا يزال

قائداً للقوات الفرنسية فى شمال أفريقيا، ولكنه لم يستمر فى ذلك المنصب طويلاً بالرغم من التأييد الأمريكى له؛ فقد توجه ديجول إلى الجزائر، بتشجيع من البريطانيين، ونظم اللجنة الفرنسية للتحرير الوطنى، وانضم إلى «چيرو» كرئيس مشارك. ولقد كان «چيرو» سياسياً ساذجا، وبالتالى فإنه بالرغم من مجهود «روزفلت» نجح ديجول فى إقصاء «چيرو» كلية عن حكومة شمال أفريقيا الفرنسية. وبنهاية ١٩٤٣، فشلت سياسة روزفلت التى اتبعها مع الفرنسيين فشلاً ذريعاً، وتربّع ديجول فى الحكم.

كانت أهم العمليات العسكرية الأنجلو أمريكية فى ١٩٤٣ موجهة ضد إيطاليا؛ إذ بدأ غزو صقلية فى يوليه، متبوعاً بالهجوم على الأراضى الإيطالية فى سبتمبر. ورغم خروج إيطاليا من الحرب، لم يصل الحلفاء إلى روما حتى منتصف ١٩٤٤، ولم يتمكنوا من السيطرة على كل إيطاليا حتى ربيع ١٩٤٥. وقد شنت عمليات عسكرية خطيرة حققت نتائج محدودة لم تتعد نجاح الحلفاء فى شل حركة عشرين فرقة ألمانية فى إيطاليا؛ بالإضافة الى حصولهم على بعض المطارات الإضافية، لاستخدامها فى توجيه قاذفات قنابل ضد ألمانيا.

أما المكاسب السياسية، فكانت هائلة؛ إذ تم الاتفاق المسبق على استسلام إيطاليا قبل غزو الحلفاء للأراضى الإيطالية، بشروط حازت قبول كل من بريطانيا والولايات المتحدة والهيئة الحاكمة الموجودة فى إيطاليا آنذاك. ولكن تلك الشروط تجاهلت تماماً مصالح الإيطاليين الاشتراكيين والشيوعيين، وبالطبع مصالح الاتحاد السوڤيتى. وبعد أسبوعين من الهجوم على صقلية، قام الحلفاء بقذف روما بالقنابل لأول مرة وترتب على هذه الغارة مع تدهور الموقف العسكرى ـ إطاحة المجلس الفاشستى الأعلى بموسيلينى، الذى حل محله المشير «بيترو بادوجليو». ولم تكن لدى «بادوجيليو» وجماعته أية نية لإجراء أية تغيرات داخل إيطاليا الفاشية، إذ اقتصر هدفهم على خيانة الألمان، وكان الأمريكيون والبريطانيون على أهبة الاستعداد لمساعدتهم.

ومرة أخرى تم الاختيار لاعتبارات عسكرية؛ إذ إن عدد القوات الألمانية المعسكرة فى إيطاليا فاق عدد القوات المهاجمة بحوالى ثمانى مرات، بينما وصل عدد القوات

الألمانية والإيطالية ـ معاً ـ إلى حوالى عشرين ضعفاً *. ولذا شعر إيزنهاور أن الحد الأدنى الذى يجب أن يتوفر له هو حياد الجيش الإيطالى، وللوصول إلى ذلك الهدف، كان روزفلت على استعداد لتقديم تنازلات جمة.

كان الإيطاليون محددين تماماً بخصوص التنازلات التى طالبوا بها وهى: حماية الحكومة فى روما من الألمان، والسماح لهم بإعلان الحرب على ألمانيا، والانضمام الى الحلفاء كدولة محاربة؛ حتى يمكنهم تجنب ذل التوقيع على معاهدة استسلام غير مشروط. وكان «إيزنهاور» على استعداد للموافقة على تلك الطلبات، وحث رؤساءه فى واشنطن ولندن على ذلك، إلا أن ذلك كان يعنى تنازلات هائلة بالنسبة لـ«تشرشل»، الذى كانت حكومته مشتبكة فى قتال إيطاليا منذ يونيه ١٩٤٠، وكذلك بالنسبة «لروزفلت» بعد إعلان «كازبلانكا» عن الاستسلام غير المشروط، والذى كان يعنى عدم الدخول فى أية اتفاقيات أخرى مع الفاشستيين ممثلين فى «بادوجليو» وجماعته. ولذلك عمد رؤساء الحكومات الى تأخير اتخاذ قرار، وتوقفت المحادثات عن التقدم، ومضى أغسطس ١٩٤٣ دون إحراز شئ يذكر.

وبالتدريج.. سمح «تشرشل» و «روزفلت» لإيزنهاور بالإذعان للمطالب الإيطالية الرئيسية، فلقد أرادا تحقيق الاستقرار فى إيطاليا، وضمان حياد الجيش الإيطالى، وبالتالى، كانا على استعداد للاتفاق مع «بادوجليو» لتجنب حدوث هياج جماعى، وربما فوضى واضطرابات. وفى النهاية سمحا للحكومة الإيطالية أن تستسلم بشروط، وأن تظل فى الحكم، وأن تحتفظ بإدارة إيطاليا، مع الإبقاء على الملكية الإيطالية، والانضمام إلى الحلفاء كدولة محاربة.

ونتيجة لذلك، ظلت نفس الجماعات السياسية ـ التى كانت تحكم إيطاليا من قبل وخلال الحرب ـ فى الحكم فى عام ١٩٤٥، بتأييد من مجلس الحلفاء الذى

* سبب العجز فى قوات إيزنهاور، هو البدء فى تعزيز القوات فى إنجلترا؛ استعداداً لشن الهجوم عبر القناة (الساحل الفرنسى) فى ١٩٤٤، فكلما أتمت الفرق الأمريكية الجديدة تدريبها، كانت تُرسَل عبر البحار إلى إنجلترا، بدلاً من شمال أفريقيا.

استبعد منه الروس. وفى البداية اعترض «ستالين» ولكنه لم يلح، إذ إنه أدرك أهمية هذه السابقة: أن كل من يحرر بلداً من الحكم النازى له حق تقرير ما يجرى بها، لقد كان مستعداً لأبعد الحدود للسماح للحلفاء بتحديد مستقبل إيطاليا مقابل حصوله على نفس الحق فى أوروبا الشرقية.

لقد كانت السياسة الخارجية الأمريكية فى الحرب العالمية الثانية معقدة جداً ومتنوعة، وبالتالى يصعب إطلاق تعميمات بخصوصها فبدلاً من تبنى سياسة محددة، كانت الضرورات العسكرية هى التى تملى القرارات السياسية التى تتخذها الولايات المتحدة؛ فعلى سبيل المثال.. أمدت أمريكا المقاومة الفرنسية بالسلاح والمعدات، رغم اتجاهاتها اليسارية وكذلك ساعدت «تيتو» فى يوغوسلافيا، بالرغم من أنه كان يقود ثورة شيوعية. وفى نفس الوقت حاولت تأسيس حكومة يمينية فى شمال أفريقيا الفرنسى وإيطاليا، كما سمحت للبريطانيين أن يحذوا حذوها فى اليونان. وفى فرنسا المحتلة كان يتعين على الولايات المتحدة أن تتعامل مع المقاومة التى حملت وحدها عبء مقاتلة النازيين، أما فى يوغوسلافيا.. كان هناك بديل لتيتو، فى شكل قوة فدائية بقيادة الجنرال «دراچا ميخائيليوڤيتش»، الذى كان يؤيد الملكية والحكومة اليوغوسلافية فى المنفى فى لندن. لقد حذا إيزنهاور والأمريكيون حذو البريطانيين فى مـدّ يد المساعدة لتيتو؛ لأنه كان أكثر صلاحية من «ميخائيلوڤيتش» لمحاربة النازيين. ولا يمكن القول بأن أمريكا استقطبت كل قواها من أجل هزيمة النازيين؛ إذ إن كل ضابط أمريكى مسئول ـ تقريباً ـ حذر الرئيس من تأثير غزو شمال أفريقيا فى ١٩٤٢، على تأخير النصر النهائى.

وفى هذا الصدد ـ وبدرجة أقل فى حالة غزو صقلية وإيطاليا ـ كانت الضغوط السياسية الداخلية وإتجاهات «تشرشل» أقوى تأثيرا على قرارات «روزڤلت» من رغبته فى التعجيل بهزيمة ألمانيا.

فى يناير ١٩٤٤ وضعت الولايات المتحدة حداً للاضطرابات والانحرافات، التى كانت من سمات سياستها الخارجية، وذلك عندما أصبحت القوات الأمريكية فى

حالة الاستعداد القصوى، وتولى إيزنهاور قيادة قوات الحلفاء (AEF) فى المملكة المتحدة، وبدأ استعداداته لشن الهجوم عبر القناة، وهى العملية التى أطلق عليها «OVERLOED ـ أوڤرلورد». ومنذ ذلك التاريخ، استحوذ سؤال واحد على الفكر الأمريكى، وهو: هل لهذا الاقتراح آثار إيجابية أم سلبية على عملية «أوڤرلورد» ؟ لقد حازت عملية «أوڤرلورد» على الأولوية المطلقة بحيث تم تعديل كل العمليات المساعدة لتكون فى خدمتها، وتركزت الجهود الأمريكية ـ وقتها ـ على هدف واحد فقط هو هزيمة ألمانيا. أما مشاكل بعد الحرب فقد تم إرجاؤها لمعالجتها بعد انتهاء الحرب. وبصفة عامة استمر ذلك الاتجاه حتى آخر يوم فى الحرب.

وثبت صواب ذلك القرار، إذ إن عملية «أوڤرلورد» كانت أهم وأخطر عملية عسكرية هجومية قادتها الولايات المتحدة وبريطانيا فى الحرب، كما أنها كانت أبرز عمل سياسى، حيث كانت تعبيراً عن الهدف الدائم والأساسى للسياسة الخارجية الأمريكية، ألا وهو المحافظة على توازن القوى.

تتعدد الأمثلة التى تدل على تطور الزعامة الأمريكية من خلال التركيز على هدف واحد؛ حيث ركزت ـ أساساً ـ على بريطانيا، مع عدم الاهتمام بروسيا. ويرجع ذلك من ناحية إلى ارتباط الأمريكيين بعلاقات عمل وطيدة مع البريطانيين، بينما لم يكن لهم أى اتصال بالجيش الأحمر. ومن ناحية أخرى، بسبب اهتمام البريطانيين بالمسائل طويلة الأجل، أكثر من الأمريكيين. وقد حازت ثلاثة موضوعات على أهمية خاصة، وهى: ما الذى يمكن عمله فى منطقة البحر الأبيض المتوسط، وما التشكيل الذى يجب اتباعه فى دخول ألمانيا؟، وهل برلين هى الهدف أم الجيش الألمانى؟ وفى القضايا الثلاث تمسك الأمريكيون بوجهة نظرهم؛ فلقد وصل التفوق الأمريكى فى معسكر الحلفاء إلى الحد الذى مكن الأمريكيون من فرض رأيهم، كلما لزم الأمر؛ بينما اضطر البريطانيون إلى قبول القرارت الأمريكية بأكبر قدر ممكن من الكياسة، بسبب انخفاض مشاركتهم إلى ٢٥٪ من إجمالى الموارد الأمريكية البريطانية.

لقد كانت سيطرة أمريكا على الحلفاء بداية عصر جديد فى تاريخ العالم؛ إذ إنها أصبحت القوة المسيطرة على العالم بدلاً من بريطانيا العظمى. وبحلول ١٩٤٥، حقق الإنتاج الأمريكى مستويات كان يصعب تصديقها؛ إذ وصل إنتاج الولايات المتحدة إلى ٤٥٪ من أسلحة العالم، وحوالى ٥٠٪ من سلع العالم، كما أن ثلثى إجمالى السفن العائمة فى العالم، كانت أمريكية الصنع.

وفيما يتعلق بمنطقة البحر الأبيض المتوسط، أصر الأمريكيون على إبطاء العمليات فى إيطاليا، لاستخدام القوات لغزو جنوب فرنسا من أجل توفير قوة تؤمن الجانب الأيمن لجيش إيزنهاور. واعترض البريطانيون على ذلك، مفضلين عمليات فى النمسا ويوغوسلافيا، ولكنهم لم يجرؤوا على الإفصاح عن دوافعهم السياسية؛ حيث أدركوا أن «روزفلت» سوف يتجاهل الأبعاد السياسية. ولقد أوضح روزفلت لـ«تشرشل»: «صديقى العزيز: إننى أتوسل إليك أن تدعنا ننفذ خطتنا لأسباب سياسية بحتة هنا فى أمريكا، لن يمكننى بأى حال من الأحوال مواجهة أى هزيمة ولو محدودة فى «أوفرلورد»، إذا عرف أنه تم تحويل قوات كبيرة نسبياً الى البلقان». (إذ إن عام ١٩٤٤ كان عام الانتخابات الأمريكية حيث كان «روزفلت» مرشحاً لفترة رئاسة رابعة).

كان «تشرشل» يأمل فى تأمين وضع بريطانيا فى البحر الأبيض المتوسط بالاستيلاء على كل إيطاليا والساحل الأدرياتيكى، ثم أعلن ـ فيما بعد ـ عن اهتمامه بسبق الروس فى وسط أوروبا، ولكنه لم يفصح عن نواياه فى ذاك الوقت. على العكس من ذلك، أخذ «تشرشل» يكرر لإيزنهاور ـ الذى كان يتحمل وطأة المناقشات عن الجانب الأمريكى ـ أن الدافع وراء رغبته فى شن هجوم شامل على الساحل الأدرياتيكى، دافع عسكرى بحت، ولكن «إيزنهاور» كان مقتنعاً بأن وضع بريطانيا بعد انتهاء الحرب كان يشغل تفكير «تشرشل»؛ ولذا أخبر رئيس الوزراء بضرورة التحدث مع «روزفلت»، إذا كان يرغب فى تغيير التعليمات الصادرة إليه (بتوجيه عمل هجومى إلى قلب ألمانيا). إن إصرار إيزنهاور على شن الهجوم على جنوب فرنسا كان مبنياً على أسس عسكرية بحتة.

عندما فشل تشرشل فى إقناع «روزفلت» بالتدخل، تم الهجوم فى أغسطس ١٩٤٤ وانتهت فرص الحلفاء فى نشر عملياتهم داخل شمال أوروبا أو البلقان. وكانت أمريكا على استعداد للتوغل شرقاً، فى منطقة البحر الأبيض المتوسط حتى إيطاليا فحسب إذ لم يبد احتمال توسع الاتحاد السوفيتى ـ بعد الحرب ـ داخل أوروبا الشرقية أو البلقان لأمريكا من الأهمية بحيث يستحق تحويل الانتباه عن ألمانيا.

أما القضية المهمة الثانية، التى أثارت جدلاً فى سبتمبر ١٩٤٤، فتعلقت بطبيعة التوغل داخل ألمانيا. قام إيزنهاور بتوجيه الهجوم على جبهة مستعرضة، حيث تحركت الجيوش الأمريكية والبريطانية ـ جنباً إلى جنب ـ تجاه ألمانيا، ولكن الجنرال «برنارد مونتجمرى» قائد القوات البريطانية طالب ـ لاعتبارات عسكرية ـ بتحرك بريطانى منفرد نحو ألمانيا، وأصر أن خطته ستؤدى إلى وضع نهاية سريعة للحرب. وأيد «تشرشل» «مونتجمرى» لرغبته فى فوز البريطانيين بمجد الاستيلاء على برلين، وحتى تتمكن القوات البريطانية الأمريكية من التوغل إلى أبعد نقطة ممكنة فى أوروبا الشرقية، حين تتقابل مع الجيش الأحمر.

إلا أن إيزنهاور أصر على تنفيذ خطته إذ كان على قناعة تامة بأن الجبهة المستعرضة خطة عسكرية سليمة. إن تحديد مدى خطأه أو صوابه يتوقف على الأولويات المطلوبة. فإذا كان الهدف الرئيسى هو التأكد من هزيمة الألمان، كان الأصوب اتباع طريقة «إيزنهاور» الحذرة، لكن إذا كان الهدف هو إحباط خطة الروس، التى تهدف إلى تقدمهم داخل وسط أوروبا عن طريق تحرير الحلفاء لبرلين وبلجراد وفيينا، لكان من الأصوب تنفيذ البرنامج الجرئ الذى رسمه «مونتجمرى».

لقد انعكست الأدوار، ففى ١٩٤٢ كان «إيزنهاور» و «مارشال» على استعداد لقبول أية مخاطرة فى سبيل عبور القناة، إلا أنهما فى ١٩٤٤ دافعا عن خطة يعوزها الدهاء، نظرا لعدم خطورتها. أما البريطانيون الذين ترددوا ـ من قبل ـ فى مواجهة هتلر داخل القارة، فقد أصبحوا على أتم الاستعداد للتعرض لمخاطر جسيمة لوضع نهاية للحرب والفوز باحتلال برلين.

لقد اتضح الاختلاف فى نظرة وطريقة كل من الجانبين، أو تقدير كلّ منهما لمدى إلحاحية الموضوع فى ديسمبر ١٩٤٤، فى رد فعل كلّ منهما تجاه الهجوم الألمانى المضاد على Ardennes «الأردين». فقد كانت جيوش إيزنهاور متورطة تماماً نتيجة تقدمها على جبهة مستعرضة وبذا عانت من قصور فظيع فى القوات الاحتياطية، ولذلك أرسل «إيزنهاور» الى لندن وواشنطن، يناشدهما إرسال قوات إضافية، وحيث إن «تشرشل» كان متلهفا على إنهاء الحرب، فقد سارع بإصدار أوامره باستدعاء جديد للمدنيين، وهو الأمر الذى كان له أثر بالغ على ما تبقى من القوة الصناعية فى بريطانيا، إلا أنه .زوّد إزينهاور بقوة جديدة قوامها ٢٥٠,٠٠٠ رجل. أما فى الولايات المتحدة، فقد تمسكت وزارة الحربية الأمريكية بوجهة نظر «روزفلت» ، التى كانت تنادى بأن الإنتاج الصناعى هو أعظم مشاركة فى الحرب يمكن أن تقدمها الولايات المتحدة؛ ولذلك رفضت أمريكا استدعاء أية قوات إضافية. لقد أثار هذا الموقف غضب «والتر سميث» رئيس أركان إيزنهاور، الذى عبر عن غيظه فى أحد الاجتماعات، قائلاً فى معرض مقارنة موقف لندن و واشنطن : «بينما كنت اتقلب فى فراشى مساء أمس، راودتنى فكرة: ألا يجب علينا أن نكتب إلى أسيادنا فى واشنطن، لنوضح لهم أنه لكى ننتصر فى هذه الحرب.. يجب عليهم أن يزودونا بعشر فرق أخرى؛ فلننظر إلى بريطانيا التى أوشكت على توفير ٢٥٠,٠٠٠ جندى، إذا كان ذلك فى مقدور بريطانيا.. لكان يتعين علينا توفير ٢٥٠,٠٠٠ جندى» .

واستطاعت قوات الحلفاء التغلب على أزمة معركة البولج «Bulge» دون الإمدادات الأمريكية، وعبروا نهر الراين فى أوائل ربيع ١٩٤٥ ، متوغلين على امتداد جبهة مستعرضة داخل ألمانيا؛ فأمر إيزنهاور بتطويق المنطقة الصناعية فى «الرور» ، وإرسال حملة إلى «داسون» للالتحام مع الجيش الأحمر فى وسط ألمانيا ـ باعتبارها أهدافاً عاجلة ـ حتى يمكن تقسيم ألمانيا إلى جزءين. إلا أن «مونتجمرى» و «تشرشل» اعتراضا لأنهما أرادا من إيزنهاور أن يعطى الأولوية لتزويد الحملة البريطانية المتجهة إلى برلين بالمعدات والغطاء الجوى، لكى تتمكن من الوصول إلى برلين قبل الروس.

obeikandi.com

لقد ثار جدل كبير حول وجهة نظر «تشرشل» في التمسك باتخاذ برلين هدفاً للحرب. لقد أشيع أنه أراد إبعاد الروس عن شرق ألمانيا، والاحتفاظ بألمانيا دون تقسيم، والمحافظة على وضع برلين كعاصمة للبلاد، وأنه لو كانوا الحلفاء نجحوا فى الاستيلاء على المدينة لما وجدت مشكلة «برلين» التى نواجهها اليوم. وهذا هراء؛ فإلى جانب العوامل العسكرية (لم يكن مستبعداً ألا يتمكن رجال «إيزنهاور» من الاستيلاء على برلين قبل وصول الجيش الأحمر إليها) فإن معظم تلك الآراء لا تعكس السياسة التى كان «تشرشل» يدافع عنها؛ حيث لم يذهب أبداً إلى رفض حق الروس فى التواجد فى أوروبا الشرقية بصفة عامة، أو شرق ألمانيا بصفة خاصة؛ لأنه وضع قد سبق الاتفاق عليه منذ البداية. فبمجرد شن الهجوم عبر بحر المانش فى ١٩٤٣، لم تعد هناك أية فرصة لاستبعاد الروس من أوروبا الشرقية، وكان «تشرشل» مدركاً لهذه الحقيقة؛ لأن اتفاقه الشهير مع «ستالين» خلال اجتماعات موسكو فى خريف ١٩٤٤، دل على اعترافه بأنه لا مفر من سيطرة الروس على أوروبا الشرقية.

إن الدافع وراء سعى تشرشل إلى الاستيلاء على برلين لم يكن طناناً بهذه الدرجة، إذ إن اهتمامه الأعظم كان المحافظة على الهيبة والمركز. وعندما أفاد «روزفلت» بخبر اتجاه الروس الى تحرير فيينا، قال له: «إذا استولوا على برلين أيضاً، ألن ينطبع فى أذهانهم - دون وجه حق - أنهم تحملوا الدور الأعظم فى انتصارنا المشترك؟».

لكن «روزفلت» لم يقتنع بذلك على الإطلاق، ففى الأسابيع التى سبقت وفاته فى ١٢ إبريل، انحصرت اهتماماته فى تكوين الأمم المتحدة (بدأت جلسات مؤتمر سان فرانسيسكو لصياغة ميثاق الأمم المتحدة بعد وفاته بفترة قصيرة) للتأكد من اشتراك الاتحاد السوفيتى فى الأمم المتحدة، وللمحافظة على العلاقات الودية مع «ستالين». لذلك رفض «روزفلت» أن يتخذ موقفاً صلباً مع «ستالين» بخصوص احتلال الروس لبولندا، أو بشأن شكوك «ستالين» حول استسلام القوات الألمانية فى إيطاليا للحلفاء من الغرب. ولم يكن الرئيس دبلوماسياً محنكاً، كما لم يضع أبداً

صورة واضحة عن أهدافه تجاه عالم ما بعد الحرب، ودل اهتمامه بالأمم المتحدة على أنه اعتنق مبدأ «ودرو ويلسون» بخصوص الأمن الجماعى. ولكن طبيعة الأمم المتحدة التى سعى إليها «روزفلت» ـ التى كانت تحكمها الدول الكبرى من خلال مجلس الأمن ـ كانت تدل على أنه لم يتنازل عن إيمانه بضرورة وجود مناطق نفوذ للقوى العظمى، ودلت على ذلك تعليقاته المتكررة عن «رجال البوليس الأربعة» (الصين، وروسيا، وبريطانيا، والولايات المتحدة).

إذا كانت سياسة «روزفلت» قد اتسمت بعدم الوضوح، لدرجة إرباك حتى أقرب مستشاريه، إلا أن شيئاً واحداً كان واضحاً، وهو رفض الرئيس معاداة السوفييت بصورة صارخة؛ مما أثار سخط بعض أعضاء وزارة الخارجية، خاصة «أفريل هاريمان» السفير الأمريكى لدى روسيا. فلقد افترض «هاريمان»، و«تشرشل»، و«ترومان» فيما بعد أن روسيا ستكون غير منطقية فى مطالبها، وستكون متعطشة للنفوذ؛ بحيث يستحيل التعامل معها إلا من منطلق قوة ساحقة تتسم بالحزم والصرامة. ولكن «روزفلت» نبذ كل هذه الافتراضات، بل الأكثر من ذلك أنه رأى أنه من المنطقى أن يشعر الروس بالقلق تجاه نوع الحكومات الموجودة على الحدود الغربية لروسيا؛ مما دفعه إلى قبول مناقشة مطالب «ستالين» فى شرق أوروبا. هذا بالإضافة إلى افتراض آخر ـ وافق عليه «تشرشل» نفسه ـ يتعلق بملحوظة «ستالين» فى أوائل ١٩٤٥ بخصوص «كل من يحتل منطقة يحق له أن يفرض عليها نظامه الاجتماعى الخاص»، وهى ملحوظة ... فى محلها. إلا أن «تشرشل» ـ الذى كان أول من وضع أساس هذا المبدأ فى ... واليونان ـ ما لبث أن شجب ستالين لتطبيق نفس المبدأ فى شرق أوروبا. وقد ... تلك الواقعة أن «روزفلت» كان واقعيا لدرجة جعلته يقبل مبدأ المعاملة بالمثل.

لقد أثارت طبيعة التحالف مع روسيا درجة كبيرة من الحيرة، ففى أعقاب الغزو النازى أصبح الجيش الأحمر بطلا، وظهر «ستالين» فى الصحافة الأمريكية كبطل حكيم وكريم. ومع ذلك، فمن المشكوك فيه أن يكون لذلك الموقف تأثير عميق أو دائم على شعب نظر الى الشيوعية والفاشية بنفس القدر من الخوف وعدم الثقة.

وفي ذات الوقت، ظل الإحساس بعداء السوفييت متدفقاً خلف الكواليس، خاصة في وزارة الخارجية. ولكن «چورچ كينان»، (رغم أن وظيفته بوزارة الخارجية كانت ثانوية في ذلك الوقت) أحسن التعبير عن الاتجاه السائد بعد غزو النازيين لروسيا في ١٩٤١، عندما قال: «يجب ألا نفعل أى شيء، يجعلنا نظهر كأننا نحذو حذو «تشرشل» في تأييده المعنوى لقضية روسيا. يبدو لى أن الترحيب بزمالة روسيا في الدفاع عن الديموقراطية، سيؤدى إلى إساءة فهمنا». كان «كينان» يشعر أن «تخوف أوروبا بصفة عامة من روسيا فاق تخوفها من ألمانيا» ووافق ضمنياً على الرأى القائل بأن هناك تشابهاً بين أخطار الشيوعية وأخطار الفاشية.

من المحتمل أن الرأى الذى عبر عنه «كينان»، في ١٩٤١ كان سائداً في وزارة الخارجية، إلا أن الوزارة لم تكن الموجه الرئيسى للسياسة الخارجية الأمريكية، ولذا مضى «روزفلت» في إمداد الروس على سبيل «الإقراض والإيجار»، وتأييد «ستالين» معنوياً، ولكنه تحت إلحاح وزارة الخارجية، رفض طلب «ستالين» في ١٩٤١ عقد اتفاقية تعترف بالأقاليم التى فاز بها الروس في ظل المعاهدة الدولية بين السوفييت والنازيين، بدعوى أنه يمكن تسوية المسائل الإقليمية بعد انتهاء الحرب. ولكن ـ فيما عدا تلك المسألة ـ عمل «روزفلت» على التعاون مع «ستالين» ضد العدو المشترك، واستمر «كينان» في اعتراضه. وعندما نجح الجيش الأحمر في دفع الألمان خارج روسيا في ١٩٤٤، وبدأ الإعداد للهجوم النهائى، انبرى كينان منادياً: إن الوقت قد حان «لمواجهة سياسية واقعية ناضجة مع القادة السوفييت؛ إذ أراد مواجهتهم وذلك «بتخييرهم بين تغيير سياستهم تماماً والموافقة على التعاون على إنشاء دول مستقلة حقاً في أوروبا الشرقية، وبين فقدان تأييد ورعاية دول الغرب الحليفة، خلال المراحل المتبقية من العمليات الحربية».

كان «كينان» قد أصبح ـ في ذلك الوقت ـ المستشار الأول لـ«هاريمان»، السفير الأمريكي لدى موسكو، الذى وافق على آراء «كينان» ونصح «روزفلت» بتخفيض أو حتى إيقاف الشحنات المرسلة إلى روسيا على سبيل «الإقراض ـ والإيجار»، ولكن

«روزفلت» رفض، واستمر تدفق المساعدات لتزويد روسيا بالمعدات اللازمة خاصة الشاحنات، حيث اعتقد أن حاجة الغرب إلى الجيش الأحمر كانت تماثل حاجة روسيا إلى إمدادات «الإقراض ـ والإيجار». ورغم أن «كينان» عجز عن فهم ذلك، إلا أن «مارشال» و «روزفلت» كانا متأكدين تماماً من إجابة سؤال: «من كان فى حاجة قصوى إلى من؟» ولقد كانت أقصى مخاوفهما تمثل أقصى آمال «كينان»، ألا وهى توقف الجيش الأحمر بمجرد وصوله إلى الحدود الروسية. وعندئذ، كان يمكن للألمان أن يتجهوا غرباً ليواجه الحلفاء ـ فى الغرب ـ بمعظم الجيش الألمانى. ولم تكن بريطانيا وأمريكا قد توصلتا بعد إلى تدبير وتموين قوات تكفى لسحق مثل تلك المقاومة حتى الوصول إلى برلين.

فضلا عن ذلك، فإن احتمال وجود أسلحة سرية جديدة، أثار قلقاً كبيراً فى ذاك الوقت. لقد تقدمت ألمانيا فى التكنولوچيا العسكرية بخطى سريعة أثناء الحرب، ودأبت الدعاية الألمانية على حث الشعب على استمرار المقاومة لفترة قصيرة، حتى يتم تجهيز الأسلحة الجديدة. وكان «روزفلت» قد علم أن الألمان منكبون على إنتاج قنبلة ذرية، بالإضافة إلى أسلحة «V»* وطائرات نفاثة، وغواصات مزودة بمعدات التنفس تحت الماء. لذلك، فإن إيقاف تسهيل الإقراض والإيجار إلى الروس كان سيترتب عليه إبطاء تقدم الجيش الأحمر، مما يوفر للألمان مهلة من الوقت لتحسين أسلحتهم وبلوغها حد الكمال، هذا إن لم يؤد إلى انسحاب «ستالين» من الحرب كلية.

إن الاعتبارات سابقة الذكر ليست إلا تجسيداً للمعضلة الأساسية للحرب، فحتى النهاية أجمعت جميع القوى على الضرورة الحتمية لاستمرار تقدم روسيا، ومع ذلك رفضوا ـ فيما عدا قلة قليلة من البريطانيين الأمريكيين ـ سيطرة روسيا على شرق أوروبا؛ وكان لابد من الاختيار بين هذا أو ذاك. وقرر «روزفلت» أن الخطر

* يرمز حرف فى «V» إلى كلمة انتقام (Vengecne)، وكان ذلك أول شكل للصواريخ أو القذائف الموجهة.

الأعظم يتمثل فى توقفت الهجمات الروسية فاستمر فى مساعدة «ستالين» وتشجعيه على الحملة الروسية تجاه الغرب.

أما «إيزنهاور»، فقد بنى قراره بالنسبة لبرلين (فى حدود سلطته) على أسس عسكرية، وكان رأيه أنه من الجنون إرسال قواته مهرولة إلى برلين، بينما يقل (أو ينعدم) احتمال وصولهم إليها قبل الجيش الأحمر. وفضلا عن ذلك، فقد كان «إيزنهاور» بحاجة إلى خط واضح لمعالم الحدود يسهل التعرف عليه من الجانبين، عندما تتلاقى قواته مع القوات الروسية، وذلك بهدف تجنب تبادل إطلاق النار بين قوات الحلفاء بطريق الخطأ. ولذلك، أبلغ «ستالين» بتوقف قواته عندما تصل إلى نهر إلبا، ولكن «تشرشل» ظل يلح عليه لكى يستمر فى التقدم شرقاً. وفى النهاية.. أبرق «إيزنهاور» إلى رؤساء أركان العمليات المشتركة، بما نصه. «أنا أول من يقر أن الحروب تنشب من أجل تحقيق أهداف سياسية؛ لذلك إذا قرر رؤساء أركان العمليات المشتركة أن المجهودات التى يبذلها الحلفاء للاستيلاء على برلين، تفوق فى أهميتها الاعتبارات العسكرية الصرفة فى هذه المعركة.. فإننى ـ وبكل سرور ـ سوف أعيد تنظيم خططى وأفكارى، لكى أنفذ مثل هذه العملية»؛ أى إنه لم يكن على استعداد لتعريض حياة ١٠٠,٠٠٠ رجل أو أكثر للخطر دون تحقيق مكاسب عسكرية. وعندما لم يصله رد من رؤساء الأركان، تمسك بوضع الاعتبارات العسكرية فى المقام الأول.

وبينما قامت قوات إيزنهاور باحتلال جنوب ألمانيا.. واصلت القوات الروسية هجماتها حتى وصلت إلى برلين، بعد تكبد إصابات جسيمة غالباً ما تعدت ١٠٠,٠٠٠ رجل. ولقد أشار «هربرت فيس» إلى ذلك؛ قائلاً إنهم فازوا «بأول إحساس كئيب بالنصر، وأول منظر مرعب للأطلال، وأول موكب عسكرى تحت حجاب قاتم كثيف من الدخان». ومع ذلك ـ بعد مرور شهرين ـ تخلوا عن أكثر من نصف المدينة التى تكبدوا هذا الثمن الفادح للاستيلاء عليها، بينما حازت الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى على قطاعاتهما فى برلين، دون دفع حياة جندى واحد ثمناً لها، وظلوا هناك منذ ذاك الحين.

الأهم من ذلك هو أن الحرب انتهت، دون حدوث ثغرة قاطعة فى العلاقات مع روسيا. وإن كان «التحالف الغريب» قد تعرض للتوتر مرات عديدة، إلا أن الولايات المتحدة وروسيا ظلتا متحالفتين. وفى مايو ١٩٤٥ ظل احتمال استمرار تعاونهما وارداً، وإن كان ضعيفاً؛ حيث إعتمد على موقف الولايات المتحدة من التصرفات السوفيتية فى شرق أوروبا. كان واضحا أن «ستالين» سوف يصر على إقامة ديكتاتورية شيوعية تحت سيطرة موسكو، بما يتضمنه هذا من إقصاء قيادات الاقتصاد والزعماء السياسيين من العهد القديم، مثل: الملاك، وأصحاب المصانع، وكبار المسئولين فى الجيش، والارستقراطيين، بالإضافة إلى الزعماء الدينيين، ومحررى الصحف.. ومعهم سوف تختفى بعض المفاهيم التى يقدسها الغرب، مثل: حرية التعبير، والانتخابات الحرة، وحرية الديانات والمؤسسات الحرة. ولم يكن فى مقدور المسئولين فى الحكومة الأمريكية أن يوافقوا ـ بأى شكل ـ على قمع نفس الحريات التى حاربوا هتلر من أجلها. ولم يكن فى مقدور الرئيس «هارى ترومان» أبداً (بعد وفاة روزفلت فى أبريل ١٩٤٥)، ومستشاريه، والشعب الأمريكى أن يقبلوا فرض الشيوعية على أوروبا الشرقية، دون إبداء أى اعتراض.

إن تجربة الحرب العالمية الثانية أوضحت ان الولايات المتحدة ما زالت لديها بدائل، وأن العداء ليس السلوك الوحيد الممكن تبنيه لمجابهة تحركات «ستالين» المتوقعة. لقد أقامت الولايات المتحدة الدليل على قدرتها على التصرف بطريقة واقعية، تناسبت مع تطور المواقف؛ فلقد ساعدت «تيتو»، وأيدت المقاومة الفرنسية، ورفضت أن تلجأ للعنف مع الروس، واتخذت قرارات جوهرية لإنجاز هدف واحد فقط وهو إسقاط ألمانيا النازية.

لقد فاقت القوة الأمريكية فى ربيع ١٩٤٥، قوتها فى ١٩٤١ بصورة مذهلة، سواء بالمقارنة بدول العالم الأخرى أو بصفة مطلقة. وكان هذا هو نفس الموقف فى ١٩١٨، وإن كان بدرجة أقل، ولكن بعد الحرب العالمية الأولى.. كانت الولايات المتحدة مجردة من السلاح، ورفضت فى أغلب الأحيان التدخل فى

شئون أى منطقة خارج قارة أمريكا الشمالية، وكان بإمكانها أن تفعل ذلك مرة أخرى. وفى الواقع، فإن «روزفلت» اعترف سراً لتشرشل أنه كان يشك فى إمكانية استبقاء القوات الأمريكية فى أوروبا لأكثر من سنة واحدة بعد انتهاء الحرب.

كانت أمريكا هى المنتصرة، وبالتالى كان ولابد أن تمتد آثار قراراتها بحيث تشكل عالم ما بعد الحرب، إلا أنه فى مايو ١٩٤٥ ، لم تكن لدى الولايات المتحدة فكرة محددة عن ماهية تلك القرارت، وإنما كانت أمامها عدة طرق يمكنها الاختيار من بينها.

obeikandl.com